الاسكندر ذو القرنين

حصار صيداء وغزة

لما انتهى الاسكندر من واقعة اسوس وغنم ما في دمشق من الاموال والنفائس سار في سواحل الشام قاصداً القطر المصري فمرَّ على جبيل وصيداء فاستأمنتا اليه لاحباً بهما كرها لفرس فاقرَّ ملكيهما عليهما على جاري عادته. وجاء صور سيدة مدائن المشرق وملكة زمام بحر الروم فرضيت بالتسليم ثم علمت انهُ يريد ان يدخلها دخول الظافر ويعبد في هيكل معبودها منكرت مدَّعياً انهُ من سلالته فانكرت عليه ذلك وقالت لهُ انها مستعدة ان تلبي كل طلب يطلبهُ منها غير هذا الطلب لان جنود الغرباء لم تدخلها قط

وكان الاشوريون قد حاصروها مرتين بين سنة ٧٠١ و٦٩٧ قبل المسيح وبين سنة ٦٧١ و٦٦٣ فعجزوا عن فتحها. وحاصرها نبوخذنصر ملك بابل ثلاث عشرة سنة من سنة ٥٨٥ الى سنة ٥٧٣ قبل المسيح ولم يستطع فتحها. وكانت مبنية على جزيرة صخرية تحيطها نحو ميلين تبعد عن البر نحو نصف ميل وكان لاهلها السيادة على تجارة بحر الروم ومنهم تعلَّم اليونان الملاحة وبناء السفن وعنهم اخذوا حروف الهجاء ثم ناظروهم في بحر اجيا واضطروهم الى الابعاد بتاجرهم فقصدوا صقلية واسبانيا وشمالي افريقية و بنوا فيها اوتيكا وليبس وقرطاجنة. وبقيت صور عاصمة لهم كل مدة ازدهائهم بالقوة والغنى من سنة ١٢٠٠ الى سنة ٧٠٠ قبل المسيح كانها مدينة لندن في هذه الايام. وانحطَّ شأنها بعد ذلك قليلاً بما توالى عليها من الحروب وتفرق الكثيرين من ابنائها في سواحل اوربا وافريقية لكن بقي فيها من العظمة ما وصفهُ نبي اليهود حزقيال بقوله

" ايتها الساكنة عند مدخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انتِ قلتِ انا كاملة الجمال تخومكِ في قلب البحر بناؤوكِ تمَّموا جمالكِ عملوا كل الواحكِ من سرو سنير اخذوا ارزاً من لبنان ليصنعوهُ لكِ سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذيفكِ. صنعوا مقاعدكِ من عاج مطعَّم في اليقس من جزائر كتيم (قبرص). كتَّان مطرَّز من مصر شراعكِ ليكون لكِ راية. الاسمانجوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءكِ اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيكِ حكماؤكِ الذين كانوا فيكِ هم رباينك شيوخ جبيل وحكماؤها كانوا فيكِ قلافوكِ ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقكِ. ياوان وتوبال وماشك هم تجارك بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك.

ومن بيت توجرمة بالخيل والعرسان والبغال اقاموا اسواقك بنو ودان تجارتك ذو هديتك من العاج و لابنوس . رام فاجرتك بالبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والمرجان والياقوت والعقيق وبعد ان عدّد ممالك المشرق والمغرب التي كانت تتجر مع صور وذكر انواع متاجرها وأبّ به سيحل بصور من الخراب والدمار قال ان سؤلاء الامم يكون عليك بحرارة نفس نحيباً مرّاً ويرثونك ويقولون اية مدينة كصور كانسكتة في قلب البحر

وقد كتب حزقيال ذلك في عهد نبوخذنصّر ملك بابل فلما كان محاصراً لصور فتمّت نبوءته في عهد الاسكندر لانهُ فتحها عنوةً ثم تمّم خرابها بانشائهِ مدينة الاسكندرية وتحويل التجارة اليها . الاّ ان نبوخذنصّر لم يرتد عنها حتى صالح اهلها على ان يعترفوا بسيادتهِ العامّة ثم لما خلعت مملكةُ فارس مملكةَ بابل انتقلت السيادة على صور للفرس وكانت سفنها تعاون الفرس في بقاء سيادتهم على بحر الروم وقد استفادت صور من ذلك لانها صارت حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب فصارت القوافل ترد من بابل واشور على سواحل الشام فتنقل سفن صور بضائعها الى ممالك اوربا وافريقية

ورأى الاسكندر ان امامهُ واحداً من امرين اما ان يحاصر صور ويفتحها عنوةً وهذا امر عجز عنهُ الملوك قبلهُ وقد لا يفلح هو فيهِ او ان يتركها وراءهُ فيبقى لاساطيل الفرس مرفأ تقيم فيهِ وملجأً تلجأ اليهِ . ولكنهُ اذا فتحها قضى على اساطيل الفرس وصارت قبرص في يدهِ وسهل عليهِ فتح مصر واصبح بحر الروم للمكدونيين وثبطت عزائم خصومهِ في بلاد اليونان ويستطيع حينئذٍ ان يضرب في قلب اسيا حتى مدينة بابل . فرأى من الحزم مواقعة صور مهما كلّفهُ فتحها من العناء

وكانت صور مبنية على جزيرة تبعد عن البر نحو نصف ميل كما تقدم والبحر بينها وبين البر عميق ممّا يليها يبلغ عمقهُ ثلاث قامات او اكثر ولم يكن عند الاسكندر سفن يحاربها بها فرأى ان لا بدّ لهُ من ان يصلها بالبر لكي يستطيع الوصول اليها. ويقال انهُ ملأ قفةً بالتراب ورماها في البحر فاقتدى بهِ رجالهُ وجعلوا يقطعون الاشجار من لبنان ويغرسونها اوتاداً في البحر ويرمون بينها التراب والحجارة وهدموا المدينة التي على البر والقوا انقاضها في البحر وظلوا على ذلك يوماً بعد يوم الى ان اقتربوا من اسوار المدينة وصاروا بحيث تصل اليهم المقذوفات منها ومن السفن الراسية حولها فجعل الصوريون يرمونهم بالسهام والحجارة ويمنعونهم عن العمل. ورأى الاسكندر ان لا بدّ لهُ من وقاية رجالهِ فبنى ابراجاً من الخشب جعلها طبقات وملأها بالمقاتلة وغطاها بجلود الثيران ووضع فيها المجانيق والجلاهق ودفعها الى طرف الرصيف لكي تشغل من في

السفن فجاء الصوريون بسفينة كبيرة ملأوها قضباناً وعيداناً خلطوها بالزفت والكبريت ونصبوا عليها ساريتين طويلتين كقائمتي الميزان علقوا بهما مرجلين كبيرين ملأوهما زيتاً وزفتاً ودفعوا السفينة الى قرب الرصيف ووضعوا الاثقال في مؤخرها فارتفع مقدمها واضرموا فيها النار وداروا الساريتين المحترقتين وصبوا ما في المرجلين على الابراج فاحرقوها وكل ما حولها واتلفوا في ساعة عمل اشهر وخرّبوا الرصيف فعبثت بهِ الامواج وفرّقت اخشابهُ وحجارتهُ

ولم يكن الاسكندر ليرهن الفشل همتهُ ولكنهُ كان اذا حبطت مساعيهِ في امر جاءهُ بعزم امضى وهمة اقوى فامر ان يوسَّع الرصيف لكي يسع جمهوراً كبيراً من العمال والمقاتلة وترك المهندسين يفعلون ذلك وركب هو الى صيداء لكي يأتي منها بالسفن حاسباً انهُ لا يستطيع فتح صور ما لم ينازلها في البرّ والبحر معاً

وكان الربيع قد استهلَّ واخذت سفن الفينيقيين تعود الى مواطنها فاقبلت عليهِ سفن ارواد وجبيل وصيداء وهي المدن الثلاث التي حالفتهُ حال دخولهِ الشام وتبعتها عشر سفن من رودس وثلاث من صقلية وعشر من ليسيا وجاء على اثرها مئة وعشرون سفينة من قبرص وكان ملك قبرص قد بلغهُ ما نالهُ الاسكندر من الفوز العظيم فانحاز اليهِ والناس مع الغالب. فرأى الاسكندر حولهُ نحو مئتين وخمسين سفينة تنتظر كلمة منهُ فامرها ان تستعد لمحاصرة سيدة البحار ومناجزتها . واوغل هو في جبال لبنان فاطاعهُ اهلها ومالأوهُ ولما عاد الى صيداء وجد ان كليندر احد قوَّادهِ قد عاد باربعة آلاف من المستزرقة وكان قد انفذهُ الى بلاد اليونان لهذهِ الغاية . فقام من صيداء باسطول كبير وبلغ صور بعد ساعات قليلة ورأى اهالي صور هذه السفن من رؤوس ابراجهم فارتاعوا لانهُ لم يخطر لهم قط ان ملك قبرص يأتي الاسكندر عليهم لكنهم اظهروا الجلد واخفوا الكمد وصفُّوا القوارب في مدخل المرفإ الذي امام مدينتهم فصار دخولهُ ضرباً من المحال ولذلك اضطرت السفن القادمة مع الاسكندر ان تنقسم قسمين وتفرق على جانبي المدينة شمالاً وجنوباً وترسو بقرب الرصيف

ودعا الاسكندر المهندسين من كل فينيقية وقبرص ليساعدوهُ في عمل آلات الحصار ووسَّع الرصيف وسهَّل على العمال الجري فيهِ لان السفن كانت تحميهم حتى كادوا يبلغون اسوار المدينة وكان ارتفاع هذه الاسوار خمسين متراً وفوقها ابراج عظيمة تناطح السحاب وكلها مبنية بحجارة منحوتة بنياناً وثيقاً جداً وعليها الوف المقاتلة وآلات الحرب تقذف الحجارة الكبيرة والكرات النارية والسهام المحدَّدة. ونصب رجالهُ الكباش الكبيرة على طرف الرصيف مما يلي الاسوار وجعلوا يضربونها بها ووضعوا الدبابات والدراجات في السفن وحاولوا دفعها الى اصل الاسوار

ليتقيموها بها لكن الصوريين رموا حجارة كبيرة بجانبها منعت السفن من الدنو منها فصنع رجال الاسكندر مناشل كبيرة لينشلوا الحجارة بها ويسهلوا على السفن الدنو من الاسوار فنزل الصوريون في سفن مغشاة بالجلود الصفيقة ودنوا من سفن الاسكندر وقطعوا حبالها فعبثت بها الرياح والامواج فاقتدى بهم المكدونيون وغشوا بعض السفن بالجلود ووضعوها امام المناشل وعادوا ينشلون بها الحجارة فغاص الصوريون في البحر وقطعوا حبالها . فصنع المكدونيون لها سلاسل من الحديد ربطوها بها وظلوا ينشلون الحجارة من قرب الاسوار حتى صاروا يستطيعون الدنو منها واعمال آلاتهم في نقبها . وكان اهل المدينة يبذلون الجهد في دفعهم عنها وهم ينتظرون المدد من قرطاجنة ويرتبون البحر يوماً بعد يوم واخيراً بان لهم شراع سفينة فيها

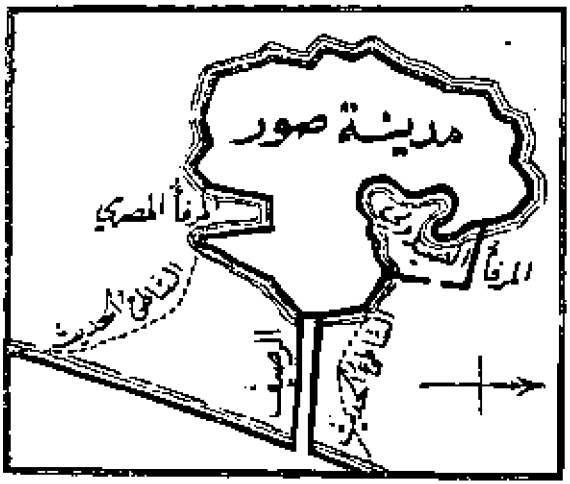

جزيرة صور والرصيف الذي صار برًا

ثلاثون رجلاً من وفد القرطاجنيين جاؤوا لتقديم الضحايا في هيكل ملكرت على جاري عادتهم. فتقلص ظل الرجاء من نفوس الصوريين وايقنوا ان لا نصير لهم الا ذراعهم وما يمكن ان يستنبطوه من الحيل والتدابير

وكان لصور مرفآن كما ترى في هذه الصورة المرفأ الصيدوني الى جهة الشمال والمرفأ المصري الى جهة الجنوب وكانت سفنها مقسومة في المرفأين ولا تستطيع ان تغادرهما وتجتمع معاً الا تحت الخطر الشديد فانتظرت حتى نزل القبارصة من سفنهم ذات يوم وصعدوا الى البر في طلب الماء فخرجت ثلاث عشرة سفينة من المرفإ الشمالي وسارت الهوينا وهي مشحونة بالمقاتلة من نخبة الصوريين الى ان بلغت سفن القبارصة وكان اكثرها فارغاً من البحارة كما تقدم فجعلت تقطع

مراسيها وتغرقها او تدفعها في عرض البحر وكان بعض التجارة في السفن وعاد الذين نزلوا الى البرّ وانتشب القتال بينهم وبين الصوريين وبلغ الاسكندر ذلك فبادر الى السفن التي في الجهة الجنوبية وسار بها حول المدينة لكي يأخذ الصوريين من ورائهم والتفت الصوريون ورأوه مقبلاً عليهم فاسرعوا الى مرافئهم فرارًا منهُ اما هو فادركهم قبل ان يدخلوا المرفأ ونشب القتال بينهُ وبينهم فكان الفوز لهُ فاسر سفينتين من سفنهم وغرّق سفنًا أُخرى وجرى ذلك كلهُ في ساعة من الزمان . وهذه هي المعركة البحرية الوحيدة التي حارب فيها

ولما رأى رجالهُ ان اسطولهم صار يخشى صولتهم زادوا جرأةً لكن اسوار المدينة كانت منيعة وثيقة البنيان من الجهة الشرقية فلم تفعل بها الكباش وكذلك من الجهة الشمالية الشرقية غير انهم وجدوا في الجهة الجنوبية بقرب المرفإ المصري جانبًا ضعيفًا من السور فجمعوا قوتهم عليهِ ورموهُ بالكباش نهارًا وليلاً الى ان ثغروهُ ودخلوا منهُ فدرى بهم الصوريون وقتلوا بعض الداخلين وردوا البعض الآخر على اعقابهم وسدّوا الثغرة حالاً ولما علم الاسكندر ان تلك البقعة اوهن من غيرها انتظر الى ان سكن هياج البحر وامر بالهجوم على المدينة من كل جهاتها لكي يشغل اهاليها وركّب الكباش على تلك البقعة التي ثغرها اولاً ووضع امامها سفينتين كبيرتين مشحونتين بالمقاتلة وكان هو بينهم فثغرت الكباش السور ثانيةً ولما هجم الرجال الذين في السفينتين ودخلوا المدينة والسيوف في ايديهم ونزلوا على اهلها كالقضاء المبرم قابلهم الصوريون بقلوب من حديد وعزائم من حديد واشتبك القتال بين الفريقين وقتل اول قائد دخل المدينة من رجال الاسكندر فاستقتل رجالهُ للاخذ بثاره ولما رأوا الاسكندر بينهم قويت عزائمهم وخارت عزائم الصوريين لان هيبتهُ كانت قد تمكنت من قلوب الامم. وكانت سفن الاسكندر قد هاجمت المدينة من كل جهاتها في ذلك الوقت عينهِ لكي تشغل المحاصرين وبادرتهم برشق السهام والحجارة والنفط واقتحمت المرفأين ودخلت الشمالي منهما ونزل الجنود فيها الى المدينة والتقوا بالجنود الذين دخلوا ثغرة السور واعملوا السيف في السكان فهربوا من وجوههم ولجأوا الى هيكل معبودهم اجنور

قال اريانوس المؤرخ يصف ما حدث حينئذٍ "لما رأى الصوريون عدوهم قد استولى على اسوار مدينتهم لجأوا الى حرم اجنور وصدوا المكدونيين فهجم عليهم الاسكندر بجنودهِ وقتل الذين وقفوا في طريقهِ وتبع الذين هربوا منهُ وقتل الذين دخلوا من المرفإ فعلهُ ولم يعفُ المكدونيون عن احد لانهم كانوا مغتاظين من طول مدة الحصار ولان الصوريين امسكوا رجالاً منهم وهم آتون من صيداء وصعدوا بهم الى اعلى اسوارهم وذبحوهم على مرأى من اخوتهم ورموا

اشلاءهم في البحر. فقتل من الصوريين نحو ثمانية آلاف ولم يقتل من المكدونيين سوى عشرين رجلاً والقائد اديستوس الذي قتل اولاً وقتل منهم في كل مدة الحصار نحو اربع مئة" وروى فلوطرخس ان الاسكندر لم يكن يحسب انهُ يفتح المدينة في اليوم الذي فتحها فيهِ ولا ان فتحها يكون سهلاً كما كان ولكن ارستندر الكاهن ضحّى ضحيّة في ذلك اليوم ونظر في احشائها وقال ان المدينة تفتح في ذلك الشهر فضحك الجنود من قولهِ لانهم كانوا في اليوم الاخير من الشهر وكان الاسكندر قد امر بالهجوم على المدينة في ذلك اليوم فلما سمع قول الكاهن امر ان يزاد الشهر يوماً وان يكون الهجوم عامًّا على المدينة لكي يحقق نبوَّة الكاهن ففتحها على ما تقدَّم

والظاهر ان كثيرين من اهالي صور شجعوها لما قنطوا من نجاتها فقد روى ديودورس المؤرخ ان اكثر من نصفهم هاجر الى قرطاجنة ومع ذلك اسر رجال الاسكندر من الشيوخ والنساء والاولاد ثلاثة عشر الفاً وقال اريانوس انهم اسروا ثلاثين الفاً وباعوهم عبيداً وقتلوا الفين من الجنود . وكان السكان قبل الحصار نحو مئة الف نفس وكانت مدة الحصار سبعة اشهر

ولما ملك صور وقفاتها ووفد قرطاجنة الى هيكل ملكرت فعفا الاسكندر عنهم ودخل الهيكل وضحى فيهِ الضحايا وكرَّس لهُ الكبش الذي ثغر بهِ السور وقال ان هذا المعبود هو هرقل نفسهُ صديق اليونانيين والمكدونيين . وهذا كان شأنهُ كلما دخل بلاداً عبد معبوداتها مع اهلها لكي يتسلط عليهم ديناً ودنيا

ولما كان الاسكندر يحاصر صور بعث اليهِ داريوس ملك فارس يعرض عليهِ ان يتخلى لهُ عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليهِ عشرة آلاف وزنة ويزوجهُ بابنتهِ ويكون حليفاً لهُ ولا يطلب منهُ بدل ذلك كلهِ الاَّ ان يرد اليهِ امهُ وزوجتهُ واولادهُ . وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قوادهِ فقال لهُ بارمنيون كبير قوادهِ لو كنت انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلب فقال لهُ الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لفعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر اجوابي الآن هو جوابي الاول . ولما وصل هذا الجواب الى داريوس رأى ان لا سبيل الى مصالحة الاسكندر فاخذ يتأهب لقتالهِ

وظلَّ الاسكندر سائرًا في طريق الساحل فسلمت لهُ المدن كلها ما عدا غزَّة وهي على مئة وخمسين ميلاً من صور وتبعد عن شاطئ البحر ميلين وكان فيها حامية من مستمرزقة العرب وكثير من الزاد استعداداً للحصار وقد بنيت على عدوة من الارض يحيط بها سور ارتفاعهُ عشرون متراً فيتعذر وصول آلات الحصار اليها ولذلك قال المهندسون والقواد للاسكندر ان فتحها ضرب من المحال . اما هو فلم يكن يحسب شيئاً مستحيلاً ولذلك اخذ من ساعتهِ في اقامة

تل كبير ازاء الجانب الجنوبي من المدينة حيث بانت اسوارها على اضعفها وجعل عرض التل من اسفله اربع مئة مترو وعلوه اكثر من ثمانين مترًا لكي يضع عليه آلات الحصار ويهدم بها الاسوار. واصيب بسهم في حصار هذه المدينة خرق ترسهُ ودرعهُ وكتفهُ ولكن اجلهُ لم يكن قد حان فشفي منهُ حالاً. ودام الحصار شهرين وقتل المحاصرون كلهم في الدفاع عن مدينتهم وبيع نساؤهم واولادهم عبدًا

وذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان الاسكندر صعد الى اورشليم بعد ما فتح غزة فخاف يدوس الحبر الاعظم لما بلغهُ ذلك لان الاسكندر كان قد كتب اليهِ يستنجدهُ وهو يحاصر صور فردَّ اليهِ الجواب انهُ في طاعة داريوس ولا يستطيع ان يخونهُ ما دامت البلاد لهُ. فامر الشعب ان يتضرعوا الى الله ليتقدم من المكدونيين فقال لهُ الله في حلم ان يتشجَّع ويزيّن المدينة ويفتح ابوابها ويامر سكانها بلبس الثياب البيضاء ويخرج هو والكهنة بلباس الكهنوت فلا يناله شر. فلما استيقظ من نومهِ قصَّ على الشعب ما حلم بهِ وفعل حسبما امرهُ الله. ولما دنا الاسكندر من اورشليم خرج للقائهِ هو والكهنة وجمهور غفير من السكان حتى بلغوا المكان المسمى الصفا فلما راهم الاسكندر عن بعد وهم بالثياب البيضاء والكهنة بلباس الكهنوت ورئيسهم بحلة من الارجوان والذهب وتاجهُ على راسهِ وعليهِ صفيحة من الذهب فيها اسم الله دنا منهُ بنفسهِ وحيَّا اسم الجلالة ورئيس الكهنة واجتمع اليهود حولهُ يحيونهُ. وصعد ملوك سورية مع الاسكندر فلما رأوا منهُ ذلك حسبوا انهُ اصيب بدخل في عقلهِ ودنا منهُ القائد بارمنيون وسألهُ قائلاً ما حدث حتى تسجد لرئيس كهنة اليهود مع ان الناس كلهم يسجدون لك فقال اني لم اسجد لهُ بل للاله الذي جعلهُ رئيسًا لكهنتهِ لانني رأيت هذا الرجل في حلم لابسًا هذه الاثواب عينها لما كنت في مكدونية وكنت افكر كيف استولي على اسيا فحضني على الاسراع اليها وقال انهُ يقود جنودي و يملكني ممالك الفرس ولم ارَ احدًا قبل الآن لابسًا مثل هذه الثياب والآن رأيت هذا الرجل لابسًا اياها فانا واثق بصدق الرؤيا التي رأيتها و بان جنودي تسير بالارشاد الالهي واني ساغلب داريوس واستأصل مملكتهُ وتتم كل شيء على حسب ما هو راسخ في ذهني. ولما قال ذلك اعطى يمينهُ لرئيس الكهنة ودخل معهُ المدينة وصعد الى الهيكل وقرَّب الذبائح لله حسب ارشاد رئيس الكهنة. واروهُ سفر دانيال حيث قيل ان واحدًا من اليونان يخرب مملكة الفرس فسرَّ بذلك حاسبًا انهُ الشخص المعني. وصرف الجمع ذلك اليوم ثم دعاهم في اليوم التالي وسألهم عما يطلبون منهُ فطلب منهُ رئيس الكهنة ان يسمح لهم بالجري على سنن آبائهم وان يعفيهم من دفع الجزية كل سنة سابعة. فاجابهُ الى ما

طلب . وطلبوا منهُ ايضاً ان يسمح لليهود الذين في بابل ومادي ليسيروا حسب مللهم فوعدهم بذلك . ثم عرض عليهم ان يتجندوا في جيشهِ ويكونوا احراراً في السير على مللهم فانتظم كثيرون منهم في خدمتهِ

وذكر يوسيفوس ايضاً قدوم السامريين على الاسكندر وطلبهم منهُ ما طلبهُ اليهود ووعد الاسكندر لم بالنظر في طلبهم بعد عودتهِ من غزوة بلاد فارس

ولم يذكر احد من كاتبي سيرة الاسكندر ومؤرخي اعمالهِ هذه القصة ولا ذكروا اليهود بكلمة . ومن رأي الاستاذ هوبار ان القصة موضوعة وضعها اليهود الاحناف (هلني) في الدين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون ولم يذكر ابن الاثير كلمة عن ذلك كلهِ واورد ابن خلدون ذلك في بضعة اسطر قال "وزحف الاسكندر على بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرَّب فيهِ القربان وامتعض اهل فارس لانتزاعهِ اياها من ملكهم فزحف اليهِ دارا في ستين الفاً من الفرس ولقيهُ الاسكندر في ستمائة الف من قومهِ فغلبهم وفتح كثيراً من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيهُ عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس ومضى وبنى الاسكندرية" وذكر في مكان آخر من تاريخهِ ان الاسكندر "فتح سواحل الشام وسار الى بيت المقدس لانها من طاعة دارا وخاف الكهنة من وصولهِ اليهم ورأى في بعض تمثال رجلاً وقال انا رجل ارسلت لمعونتك ونهاهُ عن اذية اليهود واوصاهُ بامتثال اشارتهم فلما وصل الى البيت لقيهُ الكهن فبالغ في تعظيمهِ ودخل معهُ الى الهيكل وبارك عليهِ ورغب اليهِ الاسكندر ان يضع هناك تمثالهُ من الذهب ليذكر بهِ فقال هذا حرام ولكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويجعل لك من الذكر دعاؤهم لك وان يسمّى كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر فرضي الاسكندر وحمل لهم المال واجزل عطية الكهن وسألهُ ان يستخير الله في حرب دارا فقال لهُ امضِ والله مظفرك وقصَّ عليهِ الاسكندر رؤيا رآها فاولها لهُ بانهُ يظفر بدارا ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ومرَّ بنابلس ولقيهُ سنبلاط السامري وكان اهل المقدس اخرجوهُ عنهم فاضافهُ واهدى لهُ اموالاً وامتعةً واستأذنهُ في بناء هيكل في طول بريد فاذن لهُ"

واطال صاحب الكتاب العربي المنسوب الى يوسف بن كريون في وصف الاسكندر

وصعود الى بيت المقدس وقال انهُ لما صار في بعض الطريق رأى رجلاً لابساً ثياباً بيضاً وبيدهِ سيف يلمع مثل البرق فخاطب نفسهُ الاسكندر وعلم انهُ ملاك مرسل من الله عزَّ وجلَّ فسقط على سريرهِ وسجد وقال يا سيدي لماذا اقتل عبدك فقال لهُ لانك تريد ان تمضي الى المقدس لتهلك كهنة الله وامتهُ . فقال لهُ الاسكندر يا سيدي اغفر لعبدك فقد اخطأت وان كنتَ لا تشاء ان اسير في طريقي هذه فانا اعود الى بلادي. فقال لهُ الملاك اذ قد اعترفتَ وتنصلت من جريمتك فقد صفحتُ عنك فامضِ في طريقك واذا وصلت الى بيت المقدس ورأيت رجلاً لابساً ثياباً بيضاً كنظري وصورتي فانزل عن دابتك وخرَّ لهُ ساجداً وافعل جميع ما يأمرك بهِ ولا تخالفهُ فان انت خالفتهُ هلكت ". واتمَّ الكاتب القصَّة على نحو ما ذكرها ابن خلدون. والظاهر ان ابن خلدون نقل عن هذا المؤلف لا عن يوسيفوس نفسهِ. وبمثل هذا الخبط والايجاز كتب مؤرخو العرب تاريخ اعظم ملك من ملوك الارض

ادراك الحيوان الاعجم

كتب القس اغرتن بنغ مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية ذكر فيها من نوادر الكلاب ما يقضي بالتعجب العجاب ويدلُّ على ان بعضها يفوق البعض الآخر في قوة الادراك والاستدلال حتى يقارب الانسان . قال انهُ اقام في البلاد التي على خليج هدسن شمالي اميركا الشماليَّة حيث يشتدُّ البرد والزمهرير وتجلد المياه اكثر شهور السنة واضطر ان يقتني كثيراً من الكلاب لان الناس يستخدمونها هناك لجر مركباتهم وحمل امتعتهم ولا دابة غيرها تقوم مقامها او تعيش في تلك الاصقاع الباردة . وكان اذا ادركهُ الليل وهو مسافر يحفر وجاراً في الثلج وينام فيهِ ملتفاً بالفراء وتنام الكلاب معهُ فيهِ لان الثلج يكون ادفأ من الهواء كثيراً اذ تكون حرارة الهواء بين الدرجة الثلاثين والستين تحت الصفر واما الثلج فحرارتهُ عند الصفر . واذا ضلَّ دليلهُ فالكلاب لا تضلُّ بل تسير الى المكان المطلوب كانها تعرف كل مداخل البلاد ومخارجها

والكلاب التي ذكر نوادرها ليست من الكلاب العادية بل هي منتقاة ومؤصلة فان بين الكلاب فرقاً شاسعاً كالبين طوائف الناس فمنها النبيه ومنها الخامل ومنها الذكي ومنها البليد وكان عندهُ كلب وكبة من اذكاها وكان الكلب من كلاب سنت برنارد المشهورة وهو اسود اللون كبير الجسم يبلغ ثقلهُ مئتي ليبرة (نحو قنطارين) والكبة من كلاب الارض الجديدة